الرسالة رقم: (٢٤) ..... مجموع رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي

كَشْفُ الكُرْبَةِ فِي وَصْفِ أَهْلِ الغُرْبَةِ

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الأمل شيخ الإسلام قدوة الأنام وحيد عصره وفريد دهره سيدنا وشيخنا أبو الفرج عبد الرحمن بن سيدنا وشيخنا الإمام شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي فسح الله في مدته وضاعف له ومنح به ٥

الحمد لله رب العالمين حمداً اطمأنت به أركانه كما يحب ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٥ خرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ٥ خرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود وأخره وهي قبل يا رسول الله ومن الغرباء قال النزاع من القبائل وخرجه أبو بكر الأجري وعنده قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس وخرجه عنه وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدين بدأ غريباً وسيرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون حين يفسد الناس وخرجه أيضاً من حديث سهل بن سعد نحوه وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس

وخرج

وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى للغرباء قلنا وما الغرباء قال قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وموقوفاً وهذا أصح وقيل إن الغرباء قال الفارون بدينهم بعثهم الله مع عيسى بن مريم عليه السلام فقوله صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريباً يريد به أن الناس كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم على ضلالة عامة كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار الذي خرجه مسلم إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أدعى إلى الإسلام لم يستجب له إلا أولاً الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته يؤذى غاية الأذى ويسار به وهو صابر على ذلك لله عز وجل وكان المسلمون أذلاء مستضعفين يشردون كل مشرد ويعذبون يدينهم إلى البلاد النائية كما هاجروا إلى الحبشة مرتين ثم هاجروا إلى المدينة وكان منهم من يعذب في الله وفيهم من يقتل كان الداخلون في الإسلام حديثي عهد بالإسلام بعد الهجرة إلى المدينة وبعده صار الإسلام ظاهراً على كل الظهور ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجاً وأهل الإسلام الذين أقام عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر على ذلك وأهل الإسلام على غاية من الاستقامة في دينهم

دار الكتب المصرية (ك)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً مباركاً فيه يحب ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٥ خرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدأ الإسلام وسيعود غريباً كما بدأ ٥ وخرجه أيضاً أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود وأخره وهي قبل يا رسول الله ومن الغرباء قال النزاع من القبائل وخرجه أبو بكر الأجري وعنده قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس وخرجه عنه

وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدين بدأ غريباً وسيرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي ٥ وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون حين يفسد الناس ٥ وخرجه أيضاً من حديث سهل بن سعد نحوه وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس ٥ وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي

المكتبة المحمودية في المدينة المنورة (م)

مكتبة لايبزغ في ألمانيا (ل)

نسخة العطار (ط) ـ مكتبة جامعة الملك سعود

مركز جمعة الماجد (ج)

مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (ق)

مكتبة الرياض العامة (ض)

نسخة الدحيان (د) ـ مكتبة الموسوعة الفقهية في الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله مؤنسِ مَنْ لجأ إليه مِنْ غربته، وكاشفِ غمِّ مَنْ فرَّ إليه مِنْ كُربته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير بريته، وعلى آله وصحبه وعِتْرته، ومَنْ تبعهم على الهدى واستقام على شريعته.

أما بعد:

فإن من دلائل النبوة، ومعجزات صاحب الشريعة ﷺ إخباره عن الغيوب المستَقْبَلَة حتى كأنها رأي عين، يراها أهل كل عصر بعدَه فتصدق على أحوالهم، ويَرون تحقق مقاله ﷺ فيهم، فإذا انقضى عصرهم وجاء خَلَفُهم رأوا أنهم أولى بوصف تلك الأحوال من أسلافهم، فإذا انقضى عصرهم وجاء خَلَفُهم كان الأمر كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقد بدأ الإسلام غريباً في مكة، غربة الإيمان بين الكافرين، وغربة التوحيد بين المشركين، وغربة الحق بين المبطلين، إلى أن أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى مدينته ودار سنته، فأعلى الله فيها منار الإيمان، وأفَلَ منها نجم الشرك والكفران، وكانت كلمة الله هي العليا، ثم فُتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأكمل الله تعالى دينه، وأتم نعمته، ورضي الإسلام لنا ديناً.

ثم انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأمته على خير ما كانت، وجاء بعدَه خليفتُه

الصديق رضي الله عنه، فقام لله في وجه أهل الردة، ثم خَلَفه الفاروق رضي الله عنه فبسطَ الله له سلطان الإسلام في الأرض، ثم استُشهد رضي الله عنه، فَكُسِر على الأمة باب الفتن، كلما انقضت فتنة ظهرت فتنة بعدها تُرَقِّقُها.

كان الافتراق ثم الشقاق من أعظم الفتن وأشد المحن للأمة، وكانا سبباً لما أخبر عنه ﷺ من غربة الدين وأهله؛ فصار أهل السنة غرباء بين أهل البدع، وأهل الحق غرباء بين أهل الباطل، وأهل الهدى غرباء بين أهل الضلال.

وكتب العلماءُ الكتبَ وصنفوا التصانيفَ في ذلك، كأبي بكر الآجري، المتوفى سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى في جزئه «الغرباء»، ثم بعد قرون متراخية كتب ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١ رحمه الله كلامه عن الغربة في «مدارج السالكين» (٤/ ٦٧ ـ ٨٦)، ثم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٥ رحمه الله في فواتح كتابه «الاعتصام»، وهو عَصْرِيُّ المؤلفِ الإمامِ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى.

لكنهم رحمهم الله جميعاً رغم ما أوضحوا وبيَّنوا، وفرَّعوا وقسموا، وفصَّلوا وأجملوا: لم يَرَوا ما نحن فيه اليوم في القرن الخامس عشر من الغربة!

فقد أوهنَ الضعفُ الأمة بعدهم فتسلط عليها أعداؤها وتداعوا إليها تداعي الأكلة إلى قصعتها، فأمسى الإسلام غريباً في أوطانه!!

وظهر من المبادئ الباطلة والأفكار المنحرفة ما يُناقض الإسلام بالكلية.

وكلما جاءت غُربةٌ نَسِيَ الناسُ الغربةَ التي قبلها، ولم يحذروا من الغربة التي تليها، وما العصمة من ذلك إلا بالاعتصام بحبل الله ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، والتمسكِ بسنة رسول الله ﷺ، وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله إلى قضية مهمة تتعلق بمفهوم (أهل السنة) يَغفُل عنها كثير من الخاصة فضلاً عن العامة، فيقصر بعضهم التمسك بالسنة على مسائل خاصة في باب الاعتقاد، ويقصره آخرون على مظاهر خاصة في البدن والثياب.

والحق: أن السنة الكاملة الواجبة الاتباع هي طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات في الدين كله من الإيمان والإسلام والإحسان، أي في العقائد والشرائع والسلوك.

ومن الحيف والظلم زعم إقامة السنة في بعض ذلك، ثم مجافاة السنة ـ بل ترك الدين ـ في بعض آخر من ذلك.

قال الله جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال سبحانه في ذم بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

فليحذر المؤمن من الخزي في الحياة الدنيا، وليفرق بينه وبين الغربة.

فالغربة ـ وطوبى للغرباء ـ إنما تقع لمن كان على السنة الكاملة السالمة من الشبهات والشهوات في الدين كله إيماناً وإسلاماً وإحساناً.

وأما الخزي، فهو لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فمثل هذا لا يدخل في مقام الغُربة، ولا يُعَدُّ من الغرباء!

وبسطُ ذلك يضيق به هذا المقام.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وثبتنا على ذلك، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وثبتنا على ذلك.

* * *

* **ذكر هذا الكتاب للمصنف:** ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠) باسم: «كشف الكربة»، وذكره في «معجم الكتب» (ص: ١١٣)، وسماه: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة».

ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٣٤٧)، وسماه: «كشف الكربة عن أحكام الغربة».

* **وقد اعتمدت في إخراجه على تسع نسخ:**

١ ـ النسخة الأولى: نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (ك).

وهي في (١٠) لوحات، مسطرتها (١٨) سطراً، لم يذكر اسم ناسخها، ولا تاريخ النسخ، لكنها كتبت في حياة المؤلف كما تفيد مقدمتها وخاتمتها، وهي مقابلة عن نسخة مقروءة على المصنف وعليها خطه.

جاء العنوان فيها: «الكلام على قوله ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وفي أول النسخة تملك: «من نعم الله تعالى على عبده الفقير إلى رحمة ربه العلي جعفر الودبي الحنبلي».

وفي حاشية العنوان: «بدأ»: «روي بالهمز، وروي بدونه، أي: ظهر. عزيزي».

٢ ـ النسخة الثانية: نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، ورمزها (م).

وهي الرسالة الأولى من المجموع رقم (١٧٤٢) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وهي تامة تقع في (١٨) لوحة (من ٢/ أ إلى ٩/ أ) لكن حصل اختلاط في الأوراق جعل بقيتها (من ١٣٨/ ب إلى ١٤٨/ أ).

وعنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

ناسخها: أحمد بن محمد بن خضر القطان، وفي المجموع طبقة سماع مؤرخة ٨٣٦هـ، ويوجد في آخر الرسالة قيد قراءة سنة ١٢١٥.

٣ ـ النسخة الثالثة: نسخة لايبزغ، ورمزها (ل).

وهي في ضمن المجموع رقم (٨٨١).

وتقع في (٦) لوحات (من ٨٣/ ب إلى ٨٨/ أ) وهي مخرومة الآخر. مسطرتها ٢٥ سطراً، وعنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

لم يذكر اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وخطها نسخي واضح من خطوط القرن التاسع الهجري.

٤ ـ النسخة الرابعة: نسخة العطار، ورمزها (ط).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٤٨٤٣) في مكتبة جامعة الملك سعود.

وتقع في (٩) ورقات.

عنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

ناسخها: محمد بن الشيخ محمد بن الحاج علي العطار، وهو حسن الخط.

تاريخ نسخها: ١١ صفر ١١٢٣.

وعليها تملك: «تشرف بها أحقر من أن يذكر وأفقر: أحمد وهبي».

٥ ـ النسخة الخامسة: نسخة جامعة ييل، ورمزها (ج).

وهي من مصورات مركز جمعة الماجد (٣٦٢٦١٣) ضمن مجموع يليها فيه: فصل عن الغربة من «مدارج السالكين» لابن القيم، وعنوانها: «كشف الكربة في وصف الغربة». وهي في (٩) لوحات مسطرتها ٢٦ سطراً.

وخطها يمان، ويبدو أن المجموع كان في ملك الشوكاني، وبعض رسائله بخطه. وعليها قيد مقابلة في رجب ١٢٥٥. ووصف الناسخُ المصنفَ في أولها: «الشيخ الإمام العالم العامل، الزاهد العابد الورع، العارف المحقق الضابط، الدّاعي إلى الله بالكتاب والسنة، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مستقره ومأواه، وجمعنا وإياه ووالدينا وأصحابنا وجميع المسلمين في دار كرامته بفضله ورحمته مع الأنبياء والأولياء. آمين إنه قريب مجيب.

٦ ـ النسخة السادسة: نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (ق).

وهي في ضمن (٦٦٨٥)، وتقع في (٦) لوحات (من ١٧٣/ أ إلى ١٧٨/ ب) مسطرتها ٢٤ سطراً، وهي كثيرة التصحيف والأخطاء.

ناسخها: عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن حميد.

بتاريخ: ١٤ من ذي القعدة سنة ١٢٨٦.

٧ ـ النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية (ض).

وهي الرسالة الثالثة من مجموع برقم (٦٢٣/ ٨٦) وتقع في (٥) لوحات (من ص: ١٦ إلى ص: ٢٣).

لم يذكر اسم الناسخ، وتاريخ نسخها: ١٢٨٧هـ.

وفي آخرها قيد مقابلة وتصحيح.

٨ ـ النسخة الثامنة: نسخة الدحيان (د).

وهي في مكتبةِ الموسوعة الفقهية في الكويت، برقم: خ ٣١٠ (٣)، وتقع في (٦) ورقات، مسطرتها ٣٣ سطراً، وجاءت التسمية فيها: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة»، وعليها بعض تعليقات وتصحيحات.

ناسخها: الشيخ العلامة عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي.

وتاريخ نسخها: ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٠.

والعلامة القاضي الدحيان هو من كبار رجالات العلم في الكويت (١٢٩٢ ـ ١٣٤٩) رحمه الله تعالى.

٩ ـ النسخة التاسعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض (س).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (١٦٣٧) وقد سبق وصفه في المقدمات.

وتقع في (٧) لوحات (من ص: ٩٧ إلى ص: ١٠٩)، وسميت فيه: «شرح حديث بدأ الإسلام غريباً».

وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، ولم يذكر تاريخ نسخها، لكن الرسالة التي قبلها في المجموع نسخت في ذي الحجة ١٣٣٣هـ.

وطبع الكتاب طبعات كثيرة جداً زادت على عشرة لأهمية موضوعه ومن أشهرها: طبعة الشيخ أحمد الشرباصي، دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٣ التي قدم لها بمقدمة وافية ضافية، وعلق على الكتاب، وأضاف إليه ملحقاً أورد فيه كلام الشاطبي، وعنون الكتاب بـ «غربة الإسلام».

وما كتبه فيه معبر عن حال الأمة في أواسط القرن الرابع عشر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1]

قال الشيخ الإمام، العالم العلامة، الحبر الكامل، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، وحيد عصره، وفريد دهره، سيدنا وشيخنا أبو الفرج عبد الرحمن، ابن سيدنا وشيخنا الإمام شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، فسح الله في مدته، ونفع به[2].

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحِبُّ ربُّنا[3] ويَرضى، وكما يَنبغي لكرمِ وَجهِه وعزِّ جلالِه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً[4].

خرَّجَ مُسلِمٌ في «صحيحِه» مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «بدأَ الإسلامُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ فطُوبى للغُرَباءِ»[5].

---

(١) في (م): «وبه أستعين» في (ل): «رب يسر ولا تعسر يا كريم». وفي (ج): «ولا حول ولا قوة إلا بالله». وفي (ق): «وبه نستعين». وفي (ض): «وبه نستعين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

(٢) من (ك).

(٣) لا توجد اللفظة في (ك) و(ل) و(ط).

(٤) زاد في (ج): «وأزواجه وذريته وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٥).

ومِن حديثِ ابن عُمرَ رضيَ اللهُ عنهما، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ الإسلامَ بدأَ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ»(١).

وخرَّجَه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه، مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ بزيادةٍ في آخرِه وهي: قيلَ: يا رسولَ اللهِ! ومَن الغُرَباءُ؟ قال: «النُّزَّاعُ مِن القبائلِ»(٢).

وخرَّجَه أبو بكرٍ الآجُريُّ، وعندَه: قيل: ومَن هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الذين يَصْلُحونَ إذا فسَدَ النَّاسُ»(٣).

وخرَّجه غيرُه، وعنده: قال: «الذين يَفِرُّون بدينِهم مِن الفِتَنِ»(٤).

وخرَّجه التِّرمذيُّ مِن حديثِ كَثِيرِ بن عبد اللهِ المُزَنيِّ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الدِّينَ بدأَ غريباً ويَرجِعُ(٥) غريباً فطوبى للغُرباءِ الذين يُصلِحُون ما أفسدَ النَّاسُ بعدي(٦) مِن سُنَّتي»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٦)، وتتمة الحديث: «وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها». يأرز: ينضم ويجتمع.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨) بمثل حديث أبي هريرة، وفيه الزيادة.
والنُّزَّاع: جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع أي: بعد وغاب عن أهله وعشيرته. والغرباء: هم المهاجرون الذين هجروا أوطانهم في الله عز وجل.

(٣) أخرجه الآجري في «الغرباء» (١).

(٤) لم أجد هذه اللفظة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولعل المصنف أخذها من كتاب غير مسند، فلم يعزها إلى أحد، والله أعلم.

(٥) في (ق): «وسيرجع»، وفي (ن): «وسيعود».

(٦) في الترمذي: «من بعدي»، والمثبت من (ت) و(ل) و(ط) و(ج) و(س)، وسقطت اللفظة من (م) و(ق) و(د) و(ن) و(ض).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه وقال: «هذا حديث حسن» =

وخرَّجه الطَّبرانيُّ، من حديثِ جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ، وفي حديثِه: قيل: و[1]مَن هم يا رسولَ الله؟ قال: «الذين يُصلِحونَ حين يفسُدُ[2] النَّاسُ»[3].

وخرَّجه أيضاً مِن حديثِ سهل بن سعدٍ، بنحوِه[4].

وخرَّجه الإمامُ أحمدُ، مِن حديثِ سعدِ بن أبي وقَّاصٍ، عن النبيِّ ﷺ، وفي حديثِه: «فطوبى يومئذٍ للغُرباءِ إذا فسدَ النَّاسُ»[5].

= وأوله: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدِّين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً...».

(١) «و»: سقطت من (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س).

(٢) المثبت من (ك) موافقاً للمطبوع من «المعجم الأوسط» في (ج) و(س): «إذا» بدل حين، وفي (ض) و(د) و(س): «فسد»، وفي سائر النسخ «حين أفسد».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» من ثلاثة طرق (٤٩١٥) (٨٧١٦) (٨٩٧٧)، وأوله: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبا للغرباء. قال: «ومن هم؟..».

(٤) المثبت من (ك) وتصحفت «سهل» إلى «شريك» جاء في ما عداها من النسخ، وهو خطأ، صوابه: «سهل». والحديث أخرجه الطبراني من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في «الكبير» (٥٨٦٧)، و«الأوسط» (٣٠٥٦)، و«الصغير» (٢٩٠) من طريق بكر بن سليم الصواف المدني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، ولفظه في «الكبير»: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء» قالوا: يا رسول الله، وما الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس». قال في «الأوسط»: «لم يروه عن أبي حازم عن سهل إلا بكر». وبكر بن سليم: قال ابن عدي في ترجمته من «الكامل»: «يحدث عن أبي حازم عن سهل بن سعد وعن غيره ما لا يوافقه أحد عليه. ثم ذكر رواية بكر له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فحديث سهل إذن رواية معلة أصلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٤)، ولفظه: «إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها». وهو أيضاً من رواية أبي حازم.

وخرَّج الإمامُ أحمدُ والطَّبرانيُّ، مِن حديثِ عبدِالله بن عمرٍو[١] رضيَ الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «طوبى للغُرباءِ»، قلنا: وما[٢] الغرباءُ؟ قال: «قومٌ[٣] صالحونَ قليلٌ في ناسٍ سوءٍ كثيرٍ، مَن يعصيهم أكثرُ ممَّن يُطيعُهم»[٤].

ورُوِيَ عن عبدِ الله بن عمرٍو[٥] مرفوعاً وموقوفاً في هذا الحديثِ: قيلَ: ومَن الغرباءُ؟ قال: «الفرَّارونَ[٦] بدينِهم يبعَثُهم اللهُ تعالى مع عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السَّلام»[٧].

* * *

---

(١) في (ق) و(ن): «عُمر» وهو خطأ، مَشَت به بعض مطبوعات الكتاب.

(٢) في (ج) و(ق): «ومن». وفي (د): «قلنا يا رسول الله: وما الغرباء».

(٣) هنا ينتهي القسم الأول مما بين يدي من النسخة (ن).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٥٠) (٧٠٧٢) وفي أوله زيادة، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٦) واللفظ له.

(٥) في (ق): «عمر»، وهو خطأ.

(٦) في (ط): «الفارون».

(٧) أخرج المرفوع، وأوله: «أحب شيء إلى الله تعالى: الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟...»: عبدُ الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (٨٠٩)، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥). وأخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٢٠٤).

قال عبد الله بن أحمد: سمعت سفيان بن وكيع يقول: «إني لأرجو أن يكون أحمد بن حنبل منهم».

وأخرج الموقوف: الإمام أحمد في «الزهد» (٤٠٤)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٦)، والآجري في «الغرباء» (٣٧)، والدورقي في «مسند سعد بن أبي وقاص» (٩٤). فذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا الرواية لهذا الحديث عن ثمانية من الصحابة رضي الله عنهم.

وللشيخ عبد الله بن يوسف الجديع البصري: «كشف اللثام عن طرق حديث غربة الإسلام» طبع في الرياض (مكتبة الرشد ١٤٠٩)، ذكر فيه الرواية عن ثمانية عشر من الصحابة ثم سبعة من مراسيل التابعين.

وبهذا يكون أصل الحديث وهو غربة الإسلام متواتراً، دون الألفاظ التي انفردت بها الأحاديث.

فقولُه ﷺ: «بدأَ الإسلامُ غريباً»: يريدُ به أنَّ النَّاسَ كانوا قبلَ مَبعثِه ﷺ على ضلالةٍ عامَّةٍ، كما قال النبيُّ ﷺ في حديثِ عِياضِ بنِ حِمَارٍ الذي خرَّجه مُسلمٌ: «إنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمَقَتَهُم عَرَبَهم وعَجَمهم إلَّا بقايا مِن أهلِ الكتابِ»[1]، فلمَّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ ودعا إلى الإسلامِ لم يستَجِب له في أوَّلِ الأمرِ إلَّا الواحدُ بعد الواحدِ مِن كلِّ قبيلةٍ، وكان المستجيبُ له خائفاً مِن عشيرتِه وقبيلتِه يُؤذى غايةَ الأذى، ويُنال منه وهو صابرٌ على ذلك في اللهِ عزَّ وجلَّ، وكان المسلمون إذ ذاكَ مُستضعفينَ يَشْرُدونَ كلَّ مَشرَدٍ[2]، ويَهرُبون بدينِهم إلى البلادِ النَّائيةِ كما هاجروا إلى الحبشةِ مرَّتين، ثمَّ هاجروا إلى المدينةِ، وكان مِنهم مَن يُعذَّبُ في اللهِ ومِنهم مَن يُقتَلُ[3]، فكان الدَّاخلون في الإسلامِ حينئذٍ غُرباءَ[4]، ثمَّ ظهرَ الإسلامُ بعد الهجرةِ إلى المدينةِ وعَزَّ وصارَ أهلُه ظاهرينَ كلَّ الظُّهورِ، ودخلَ النَّاسُ بعد ذلك في دينِ اللهِ أفواجاً، وأكملَ اللهُ لهم الدِّينَ وأتمَّ عليهم النِّعمةَ، وتُوفِّيَ النَّبيُّ ﷺ والأمرُ على ذلك، وأهلُ الإسلامِ على غايةٍ مِن الاستقامةِ في دينِهم وهُم مُتعاضِدونَ مُتناصِرونَ، وكانوا على ذلك في زمنِ أبي بكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهما.

ثمَّ أعملَ الشَّيطانُ مَكائدَه على المسلمينَ وألقى بأسَهُم بينَهم وأَفْشى فيهم فتنةَ الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ[5]، ولم تزَلْ هاتانِ الفِتنتانِ تتَزايدُ شيئاً فشيئاً حتى استحكَمَتْ مَكيدةُ الشَّيطانِ وأطاعَه أكثَرُ الخلقِ، فمِنهم مَن دخلَ في طاعتِه في فتنةِ الشُّبُهاتِ، ومنهم مَن دخلَ في فتنةِ الشَّهَواتِ، ومِنهم مَن جمعَ بينهما، وكلُّ ذلك ممَّا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بوقوعِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) في ضمن خطبة للنبي ﷺ.

(٢) في (ض) و(د): «على كل مشرد». والضبط في (م): «يُشرَّدون كل مُشرَّد».

(٣) في (ك): «قُتِل».

(٤) في (ج) و(س): «غرباء حينئذ».

(٥) في (ج) و(س): «الشهوات والشبهات».

فأمَّا فتنةُ الشُّبُهاتِ؛ فقد رُوِيَ عنه ﷺ مِن غيرِ وجهٍ أنَّه أخبرَ أنَّ أُمَّته ستفترقُ على أزيدَ مِن سبعينَ فِرقةً على اختلافِ الرِّواياتِ في عددِ الزَّائدِ[1] على السَّبعينَ، وأنَّ جميعَ تلك الفرقِ في النَّارِ إلا فرقةً واحدةً، وهي ما كانت على ما هو عليه وأصحابُه ﷺ[2].

وأمَّا فتنةُ الشَّهواتِ؛ ففي «صحيحِ مسلمٍ»، عن عبدِ الله بن عمرٍو، عن النبيِّ ﷺ قال: «كيفَ أنتُم إذا فُتِحَت عليكم خزائنُ فارسَ والرُّومِ، أيُّ قومٍ أنتم؟» قال عبدُ الرَّحمن بنُ عَوْفٍ: نقولُ كما أمرَنا اللهُ، قال: «أوْ غيرَ ذلك، تتنافَسونَ ثمَّ تتحاسَدونَ ثمَّ تتدابَرونَ ثمَّ تتباغَضُون[3]»[4].

وفي «صحيحِ البخاريِّ»، عن عمرو[5] بن عوفٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «واللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسَطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على مَن كانَ قبلَكُم، فتَنافَسوها[6] كما تَنافَسوها فتُهلِكَكم كما أهلكَتْهُم»[7].

---

(١) في (ق): «الزيادات».

(٢) في (ك): «وهي من كان على ما هو عليه». في (ج) و(س): «وهو ما كان عليه هو وأصحابه».
وحديث افتراق الأمة ثابت في الجملة، روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ومنها: حديث عبد الله بن عمرو عند الترمذي (٢٦٤١). قال: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه». ولا يقتضي معناه تكفير تلك الفرق، كما فهمه بعض المعاصرين فجزموا بردِّه.

(٣) في (ك) و(ل) و(ط) و(ج): «تتضاغنون».

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٦٢). وقوله: «نقول كما أمرنا الله»: أي نسبح الله ونستغفره ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

(٥) في (ج) و(د) و(س): «عبد الرحمن» وهو خطأ.

(٦) في (ك): «على من قبلكم فتنافسوا كما يتنافسوها»، وفي (ق): «فتتنافسوها».

(٧) أخرجه البخاري (٤٠١٥) (٦٤٢٥) واللفظ للموضع الأول.

وفي الصَّحيحينِ، مِن حديثِ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ معناه أيضاً[١].

ولَمَّا فُتِحَت كنوزُ كسرى على عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه بكى، فقالَ: إنَّ هذا لم يُفتَح على قومٍ قطُّ إلا جُعِلَ بأسُهم بينهم، أو كما قالَ[٢].

وكان النَّبيُّ ﷺ يخشى على أمَّتِه هاتين الفِتنتَيْنِ، كما في «مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ» عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّما أخشى عليكُم شَهواتِ الغيِّ في بُطونِكُم وفُروجِكُم، ومُضِلَّاتِ الفِتَنِ»[٣]، وفي روايةٍ: «ومُضِلَّاتِ الهوى»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦). وهو آخر ما رآه عقبة بن عامر من رسول الله ﷺ على المنبر. وجاء في حاشية (ج) وهي نسخة القاضي العمراني:

«الأب يخاف على ولده الفقر، وهو ﷺ قال: «ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم التعمد» أخرجه الحاكم [(٢/ ٥٣٤)]، وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي. وأخرجه أحمد بالأصل عن أبي هريرة [(٨٠٧٤)].

قال المنذري [الترغيب والترهيب (٤/ ١٨١)] والهيثمي [مجمع الزوائد (٤٦٧٣):] رجاله رجال الصحيح. فتأمل حاله عليه السلام يخالف حال الوالد، فإنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخافه الوالد، بل يخشى عليهم الغنى، الذي هو مطلوب الوالد لولده، فأشار بذلك إلى أن مضرة الفقر دون مضرة الغنى لأن ضرر الفقر دنيوي، وضرر الغنى ديني غالباً».

(٢) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (٧٦٨) أن عمر بن الخطاب أتي بكنوز كسرى، فقال عبد الله بن أرقم: أتجعلها في بيت المال حتى تقسمها؟ فقال عمر: لا والله لا أوويه إلى سقف حتى أمضيها، فوضعها في وسط المسجد فباتوا عليها يحرسونها، فلما أصبح كشف عنها فرأى من الحمراء والبيضاء ما يكاد يتلألأ، فبكى عمر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح فقال عمر: «ويحك إن هذا لم يعطه قوم قط إلا ألقيت بينهم العداوة والبغضاء».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٩٧٧٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٩٧٧٣) (١٩٧٨٧). وفي حاشية (س) إشارة إلى نسخة: «الأهواء».

فلمَّا دخلَ أكثرُ النَّاسِ في هاتين الفِتنتَيْنِ أو إحداهما، أصبَحوا مُتقاطِعينَ مُتباغضِينَ بعد أن كانوا إخواناً مُتحابِّينَ مُتواصلينَ؛ فإنَّ فتنةَ الشَّهَواتِ عمَّتْ غالبَ الخَلْقِ فافتُتِنوا[1] بالدُّنيا وزَهرتِها وصارَت غايةَ قصدِهم، لها يَطلبونَ وبها يَرْضَون ولها يَغضبونَ ولها يُوالون وعليها يُعادون، فقطَّعوا لذلك أرحامَهُم وسفكوا دِماءهم وارتكبوا مَعاصيَ اللهِ بسببِ ذلك.

وأمَّا فتنةُ الشُّبُهاتِ والأهواءِ المُضِلَّةِ فبسببِها تفرَّقَ أهلُ القِبلةِ وصاروا شِيَعاً، وكفَّرَ بعضُهم بعضاً، وأصبَحوا أعداءً وفِرَقاً وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبُهم على قلبِ رَجُلٍ واحدٍ، فلم ينجُ من هذهِ الفِرَقِ كلِّها إلا الفِرقةُ الواحدةُ النَّاجيةُ، وهم المذكورونَ في قولِه ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ مِن أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خذَلَهم أو خالفَهُم حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم على ذلك»[2].

وهم في آخرِ الزَّمانِ الغرباءُ المذكورونَ في هذه الأحاديثِ: «الذين يَصلُحونَ إذا فسدَ النَّاسُ»، «وهم الذين يُصلِحون ما أفسدَ النَّاسُ» مِن السُّنَّةِ، «وهم الذين يَفرُّون بدِينهم مِن الفِتَنِ[3]»، «وهُم النُّزَّاعُ من القبائلِ»؛ لأنَّهُم قَلُّوا فلا يوجَدُ في كلِّ قبيلةٍ منهم إلا الواحدُ أو[4] الاثنانِ، وقد لا يوجدُ في بعضِ القبائلِ منهم أحدٌ كما كان الدَّاخلون في الإسلامِ في أوَّلِ الأمرِ كذلك[5].

---

(١) في (ق): «ففتنوا»، وفي (ل): «وافتتنوا».

(٢) في (د): «ولا من». هذا اللفظ مركب من أحاديث، أقربها إليه حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس» أخرجه مسلم (١٠٣٧).

(٣) في (ط) و(ج): «من الفتن بدينهم».

(٤) في (ق) و(ض) و(د): «و».

(٥) في حاشية (س) عنوان: «معرفة الفرقة الناجية».

وبهذا فسَّر الأئمَّةُ هذا الحديثَ.

قال الأوزاعيُّ في قولِه ﷺ: «بدأَ الإسلامُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ»: أمَا إنَّه ما[1] يذهبُ الإسلامُ، ولكن يذهبُ أهلُ السُّنَّةِ حتى ما يبقى في البلدِ مِنهم إلَّا رجلٌ واحدٌ[2].

ولهذا المعنى يوجَدُ في كلامِ السَّلفِ كثيراً مدحُ السنَّةِ ووصفُها بالغُربةِ ووصفُ أهلِها بالقِلَّةِ.

فكان الحسنُ البصريُّ رحمه الله يقولُ لأصحابِه: يا أهلَ السنَّةِ! ترفَّقوا رحمكم اللهُ فإنَّكم مِن أقلِّ النَّاسِ[3].

وقال يونسُ بن عُبَيدٍ: ليس شيءٌ أغربَ مِن السُّنَّةِ، وأغربُ مِنها مَن يعرِفُها[4][5].

وروي عنه أنَّه قال: أصبحَ مَن إذا عُرِّفَ السنَّةَ[6] فعرفَها غريباً، وأغربُ منه مَن يُعَرِّفُها[7].

وعن سفيانَ الثَّوريِّ أنَّه قال: استَوْصوا بأهلِ السُّنَّةِ خيراً فإنَّهم غُرَباءُ[8].

ومرادُ هؤلاء الأئمَّةِ بالسُّنَّةِ[9]: طريقةُ النبيِّ ﷺ التي كان عليها هو وأصحابُه،

---

(١) في (ج) و(س): «لا».

(٢) انفرد المصنف رحمه الله بهذا النقل عن الأوزاعي.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٩).

(٤) في (ق): «من عرفها».

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٣).

(٦) في (ق): «بالسنة».

(٧) سقط هذا الأثر من (ل). أخرجه اللالكائي (٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢١).

(٨) سقط هذا الأثر من (د) و(ض). أخرجه اللالكائي (٤٩).

(٩) في حاشية (ج) عنوان: «المراد بالسنة». وفي حاشية (س): «مطلب في معرفة السنة».

السَّالمةُ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ، ولهذا كان الفضيلُ بن عياضٍ رحمه اللهُ يقولُ: أهلُ السُّنَّةِ مَن عرفَ ما يُدخِلُ بطنَه مِن حلالٍ[1]، وذلك لأنَّ أكلَ الحلالِ مِن أعظمِ خصالِ السُّنَّةِ التي كان عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم.

ثمَّ صارَ في عُرفِ كثيرٍ من العُلماءِ المتأخِّرينَ مِن أهلِ الحديثِ وغيرِهم السُّنَّةُ عبارةً عمَّا سَلِمَ مِن الشُّبُهاتِ في الاعتقاداتِ، خاصَّةً في مَسائلِ الإيمانِ باللهِ ومَلائكتِه وكتبِه ورُسلِه واليومِ الآخرِ، وكذلك في[2] مَسائلِ القَدَرِ وفضائلِ الصَّحابةِ، وصنَّفوا في هذا العِلمِ تصانيفَ، سمَّوْها[3] كُتبَ السنَّةِ، وإنَّما خصُّوا هذا العلمَ باسمِ السُّنَّةِ لأنَّ خطرَه عظيمٌ والمخالفُ فيه على شَفا هَلَكَةٍ.

وأمَّا[4] السُّنَّةُ الكاملَةُ؛ فهي الطَّريقةُ السَّالِمَةُ مِن الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ كما قالَ[5] الحسنُ ويونسُ بنُ عُبَيدٍ وسفيانُ والفُضَيلُ وغيرُهم، ولهذا وُصِفَ أهلُها بالغُربةِ في آخرِ الزَّمانِ لِقِلَّتِهم وعِزَّتِهم فيه[6]، ولهذا وردَ في بعضِ الرِّواياتِ كما سبقَ في تفسيرِ الغُرَباءِ: «قومٌ صالحونَ قليلٌ في قومِ سُوءٍ كثيرٍ مَن يعصيهِم أكثرُ ممَّنْ يُطيعُهُم».

وفي هذا إشارةٌ إلى قِلَّةِ عددِهم وقلَّةِ المُستجيبينَ لهم والقابِلينَ مِنهم، وكثرةِ المخالفينَ لهم والعاصينَ لهم.

---

(١) أخرجه اللالكائي (٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٤)، ولفظه: «إن لله عباداً يحيي بهم البلاد، وهم أصحاب السنة، ومن كان يعقل ما يدخل جوفه من حله كان من حزب الله».

(٢) سقطت من (ك) و(ط) و(ج).

(٣) في (ق) و(ض) و(د): «وسموها».

(٤) في (ط) و(ج) و(س): «فأما».

(٥) في (ك) و(ل) و(ج): «قاله».

(٦) في (ل) و(ق): «وغربتهم».

ولهذا جاءَ في أحاديثَ مُتعدِّدةٍ مدحُ المُتمسِّكِ بدينِه في آخرِ الزَّمانِ، وأنَّه كالقابضِ على الجَمرِ[١]، وأنَّ للعاملِ مِنهم أجرَ خمسينَ ممَّنْ قبلَهُم لأنَّهُم لا يجدونَ أعواناً على الخيرِ[٢]، وهؤلاءِ الغُرَباءُ قِسمان[٣]:

أحدُهما: مَن يَصْلُحُ بنفسِه[٤] عندَ فَسادِ النَّاسِ.

والثَّاني: مَن يُصْلِحُ ما أفسدَ النَّاسُ مِن السُّنَّةِ، وهو أعلى القِسمينِ وأَفضَلُهُما.

وقد خرَّجَ الطَّبرانيُّ وغيرُه بإسنادٍ فيه نظرٌ، مِن حديثِ أبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ لكلِّ شَيءٍ إقبالاً وإدباراً، وإنَّ لهذا الدِّينِ إقبالاً وإدباراً، وإنَّ مِن إقبالِ[٥] الدِّينِ ما كُنتم عليه مِن العَمَى والجَهالةِ وما بَعثَني اللهُ بهِ، وإنَّ مِن إقبالِ الدِّينِ

---

(١) أخرج الترمذي (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»، وله شواهد، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرج أبو داود (٤٣٤١) واللفظ له، والترمذي (٣٠٥٨) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٠١٤) من حديث أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مُؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك ـ يعني ـ بنفسك ـ، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، وزاد في غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».

(٣) في حاشية (ج) عنوان: «غرباء الإسلام على قسمين».

(٤) في (ق): «نفسَه».

(٥) في (ط) و(س): «إدبار»! وعلى هذا يشكل فهم ما بعده، فكتب ناسخ (س) في حاشيتها: «لعل هنا سَقَطَ بالأصل وهي: «ومخالفة ما بعثني الله به» لأنها ليست مكتوبة هنا كما ترى»! والمثبت لا إشكال فيه فمن الإقبال: ما بعث الله به نبيه ﷺ بعدما كانوا عليه من العمى والجهالة.

أن تَفْقَهَ القبيلةُ بأسرِها حتَّى لا يوجدَ فيها إلا الفاسقُ والفاسقانِ، فهُما مَقهورانِ ذَليلانِ إن تكلَّمَا قُمِعا وقُهِرا واضطُهِدا، أَلا وإنَّ مِن إدبارِ الدِّين أن تَجْفوَ القبيلةُ بأسرِها حتَّى لا يُرَى فيها إلَّا الفَقيهُ والفقيهانِ وهما مَقهورانِ ذَليلانِ إن تكلَّما فأَمرَا بالمعروفِ ونهيا عَن المُنكرِ قُمِعا وقُهِرا واضطُهِدا فهُما مقهورانِ ذليلانِ لا يَجِدانِ على ذلك أعواناً ولا أنصاراً»[1].

فوَصَفَ في هذا الحديثِ المؤمنُ العالمُ[2] بالسُّنَّةِ الفقيهُ في الدِّينِ بأنَّه يكونُ في آخرِ الزَّمانِ عند فسادِه مقهوراً ذليلاً لا يجدُ أعواناً ولا أنصاراً.

وخرَّج الطَّبرانيُّ أيضاً بإسنادٍ فيه ضعفٌ، عَن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ ﷺ في حديثٍ طويلٍ في ذكرِ أشراطِ السَّاعةِ قال: «وإنَّ مِن أشراطها[3] أن يكونَ المؤمِنُ في القبيلةِ أذَلَّ مِن النَّقَدِ»[4]، والنَّقَدُ هي الغَنَمُ الصِّغارُ.

وفي «مُسنَدِ الإمامِ أحمدَ»، عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ أنه قال لرجل من أصحابه[5]:

---

(١) في حاشية (ط): «إقبال الدين». والحديث أورده المصنف رحمه الله تعالى بألفاظ مدرجة من رواياته التي مدارها على علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده مسلسل بالضعفاء، ولم أجد هذا اللفظ الذي ساقه المصنف عند أحد ممن أخرج الحديث؛ كالحارث بن أبي أسامة «بغية الباحث» (٧٧١)، وابن منيع «المطالب العالية» (٤/ ٣٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٠٧) (٧٨٦٣). إلا أن أبا أحمد البخاري في جزء له (٢٣) روى هذا الحديث كما عند المصنف إلى قوله: «ما كنتم فيه من العمى والجهالة والضلالة» ثم قال: وذكر الحديث! فلم يكمله.

(٢) في (ق) و(س): «العامل».

(٣) في (ج) و(د): «أشراط الساعة» وفي (ق): «قال: ومن أشراطها».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٥٦)، وفي «الأوسط» (٤٨٦١).

(٥) في (ك): «عن...» ثم بعدها بياض مقدار كلمة، ولا توجد هذه العبارة كلها. «لرجل من أصحابه» لا توجد في (ط) و(ج) و(س). وفي «المسند» هما رجلان: أبو الدرداء وعبد الرحمن بن غَنْم.

يُوشِكُ إن طالَتْ بكَ حياةٌ[١] أن ترى الرَّجُلَ قد قرأَ القرآنَ على لسانِ محمَّدٍ ﷺ فأعادَه وأَبْدَاه[٢]، فأحلَّ حلالَهُ وحرَّمَ حرامَهُ، ونزلَ عندَ مَنازِلِه[٣]، لا يجوز فيكُم إلا كمَا يجوز[٤] رأسُ الحِمارِ الميِّتِ[٥].

ومنه قولُ ابنِ مسعودٍ: سيأتي على النَّاسِ زمانٌ يكونُ المؤمنُ فيه أذلَّ مِن الأَمَةِ[٦].

وإنَّما ذَلَّ المؤمنُ في آخرِ الزَّمانِ لغُربتِه بين أهلِ الفسادِ مِن أهلِ الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ، فكلُّهم يكرهُه ويُؤذيه لِمُخالفةِ طريقِه لطريقِهم[٧]، ومقصودِه لِمَقصودِهم[٨]، ومُباينتِه لهم فيما هم عليه.

لَمَّا[٩] ماتَ داودُ الطَّائيُّ قال ابنُ السمَّاكِ: إنَّ داودَ نظرَ بقلبِه إلى ما بين يديه

---

(١) في (ج): «الحياة». وفي (ض) و(د): «إن طالت بكم حياة أن تروا».

(٢) في (ك) بدلًا من «فأعاده وأبداه»: «أوعلى من قرأه على لسان محمد».

(٣) لا توجد «ونزل عند منازله» في (ك).

(٤) هكذا في جميع النسخ بالجيم والزاي، وفي مطبوعة الرسالة من مسند أحمد (١٧١٤٠)، ومطبوعة المنهاج (١٧٤١٤): «يحور» بالحاء والراء، دون إشارة من المحققين إلى اختلاف النسخ.

قال البرهان الناجي في «عجالة الإملاء على الترغيب والترهيب»: «كذا وجد فيهما [يعني الموضعين] بالجيم والزاي المعجمة في النسخ، وكان في نسختي، وهو الذي في مسند الإمام أحمد: يجوز فيكم. وأما ابن الأثير فإنما أورده في كتابه «نهاية الغريب» في مادة (حور) بالحاء والراء المهملتين من قول الله تعالى ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: يرجع!».

معنى: يجوز فيكم: يَسِيرُ فيكم، أي لا يكون له منزلة عند الناس، وهو المناسب للغربة.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧١٤٠).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٥٠١)، وأبو داود في «الزهد» (١٧٦).

(٧) في (ق): «لمخالفته طريقته لطريقتهم».

(٨) في (ك) «لمقاصدهم».

(٩) في حاشية (ط): «فائدة»، وفي سائر النسخ عدا (ك) و(ل) و(ط): «ولما».

فأعشى بصرُ قلبِه بصرُ العُيونِ، فكأنَّه[١] لم ينظر إلى ما أنتم إليه[٢] تنظرونَ، وكأنَّكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظرُ، فأنتم منه تَعجبون وهو مِنكم يعجَبُ، استوحشَ مِنْكُم أنَّه كانَ حيًّا وسطَ مَوْتى[٣][٤].

ومِنهم مَن كان يكرهُه أهلُه وولدُه لاستنكارِ حالِه، سمعَ عمرُ بن عبدِ العزيز امرأتَه مرَّةً تقولُ: أراحَنا اللهُ منك، فقال: آمين[٥].

وقد كان السَّلفُ قديماً يَصِفونَ المؤمنَ بالغُربةِ في زمانِهم كما سبقَ مِثلُه عن الحسنِ والأوزاعيِّ وسفيانَ وغيرِهم.

ومن كلامِ أحمدَ بنِ عاصمٍ الأنطاكيِّ[٦] ـ وكان مِن كبارِ العارفينَ في زمانِ أبي سليمانَ الدَّارانيِّ ـ قال: إني أدركتُ مِن الأزمِنةِ زماناً عادَ فيه الإسلامُ غريباً كما بدأَ، وعادَ وصفُ الحقِّ فيه غريباً كما بدأَ، إن نزَعْتَ[٧] فيه إلى عالمٍ وجدتَهُ مَفتوناً بحبِّ الدُّنيا، يحبُّ التَّعظيمَ والرِّياسةَ، وإن نَزَعتَ[٨] فيه إلى عابدٍ وجدتَه جاهلاً في

---

(١) في سائر النسخ عدا (ك) و(ل) و(ط): «وكأنه». ومعناه فأعشى بصرُ قلبه بصرَ عينيه، وعلى الضبط الآخر: فأعشى بصرُ عيونكم عنكم بصرَ قلبه. وتصحفت فأعشى إلى فأغشى في النسخ المتأخرة.

(٢) في (ق): «عليه».

(٣) في (ل) و(ط): «وسطاً ميتاً»، وفي (ج): «وسط ميتاً»، وفي (س): «وسط أموات».

(٤) أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٣٣٩)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٦)، واللفظ له، ضمن كلام طويل.

(٥) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (ص: ١٩٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٤٨).

(٦) في حاشية (س): «كلام أحمد بن عاصم».

(٧) تصحفت في (ك) و(م) و(ق) و(ض) و(د) إلى: «ترغب».

(٨) تصحفت في (ك) و(ق) و(ض) و(د) إلى: «ترغب».

عبادتِه مخدوعاً[١] صريعَ عدوِّه[٢] إبليسَ، قد[٣] صعدَ به إلى أعلى درجةِ العبادةِ وهو جاهلٌ بأدناها فكيفَ له بأعلاها، وسائرُ ذلك مِن الرَّعاعِ فثبَجٌ[٤] أعوَجُ وذئابٌ مُختلِسَةٌ وسباعٌ ضاريَةٌ وثعالبُ [جوابِزَة][٥]. هذا وصفُ عيونِ[٦] أهل زمانِك مِن حملَةِ العلمِ[٧] والقرآنِ ورُعاةِ[٨] الحكمةِ، خرَّجه أبو نُعَيمٍ في «الحلية»[٩].

فهذا وصفُ أهلِ زمانِه فكيفَ بما حدثَ بعدَه مِن العظائمِ والدَّواهي التي لم تخطُر[١٠] ببالِه ولم تَدُر في خيالِه[١١].

---

(١) في (ط) وحدها: «مجذوعاً» وهو موافق لما في مطبوعة «الحلية» لكن في أحد مخطوطاته: «مخدوعاً». والمجذوع: الذي يُحبس على غير مرعى.

(٢) في (ق): «صريعاً، غَدَرَه».

(٣) في (ج) و(س): «وقد».

(٤) لم تنقط كاملة في (ل)، وفي (ط): «فشيخٌ»، وفي (ج) و(س) ومطبوعة «الحلية»: «قبيح»، وفي (ق): «نتيح ـ لعله: همج»، وفي (ض): «فثبح»، والمثبت من (ك) و(م) و(د)، ومخطوطة «الحلية». والثبج: هو الوَسَط. أي عامة الناس ومعظمهم.

(٥) اضطرب رسم هذه الكلمة في النسخ. في (ك) ـ وفوقها كذا ـ و(ل) و(ط): «ضراريرة»، وفي (ج): «ضرارة»، وفي (ق): «ضوائر»، وفي (م) و(ض) و(د): «ضواريرة»، وفي (س): «صائلة»!! وفي مطبوعة «الحلية»: «جارية»، والمثبت من مخطوط «الحلية» ـ برنستون». ولعلها جمع جِبْز، وهو اللئيم. كما في «القاموس».

(٦) في (ج) و(س): «عيوب».

(٧) في (ك) و(ل) و(ج): «أهل العلم». وفي (ط): «جملة أهل العلم».

(٨) في (ط) و(ق): «ودعاة» وهو كذلك في مطبوعة «الحلية»، والمثبت من سائر النسخ ومخطوطة «الحلية».

(٩) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٨٦).

(١٠) في (ق) و(ض) و(س): «يخطرن».

(١١) في (ل): «حياته».

وخرَّج الطَّبرانيُّ، من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «المتمسِّكُ بسُنَّتي عند فسادِ أمَّتي له أجرُ شهيدٍ»[١].

وخرَّجَ أبو الشَّيخِ الأصبهانيُّ بإسنادِه، عن الحسنِ قال: لو أنَّ رجلاً مِن الصَّدرِ الأوَّلِ بُعِثَ اليومَ ما عرفَ من الإسلامِ شيئاً إلا هذه الصَّلاةَ[٢]، ثمَّ قال: أما[٣] والله لئن عاشَ على هذه المنكراتِ[٤] فرأى صاحبَ بدعةٍ يدعو إلى بدعتِه، وصاحبَ دُنيا يدعو إلى دنياهُ، فعصمَه اللهُ عزَّ وجلَّ، وقلبُه يحنُّ إلى ذلك[٥] السَّلفِ الصَّالحِ فيتَّبعُ آثارَهُم ويستنُّ بسُنَّتِهم ويتَّبعُ سبيلَهُم[٦] كان لهُ أجرٌ عظيمٌ عظيمٌ[٧].

وروى المباركُ بن فَضالةَ[٨]، عن الحسنِ أنَّه ذكرَ الغنيَّ المُترفَ الذي له سلطانٌ يأخذُ المالَ ويدَّعي أنَّه لا عفافَ[٩] فيه، وذكرَ المُبتدعَ الضالَّ الذي خرجَ بسيفِه على المسلمينَ وتأوَّلَ ما أنزلَه[١٠] اللهُ في الكفَّارِ على المسلمينَ[١١].

ثمَّ قالَ: سُنَّتكم واللهِ الذي لا إلهَ إلا هو بينَهُما[١٢] بين الغالي والجافي، والمُترَفِ

---

(١) كتب بحاشية (ل) بخط مغاير: «مئة شهيد». وهو خطأ. والحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤).

(٢) في (ق): «الضلالة» وهو خطأ شنيع.

(٣) في (ج): «ألا».

(٤) في (ك) و(م): «النكرات».

(٥) في حاشية (م) بخط متأخر «لعله: ذكر».

(٦) في (ك) «سبلهم».

(٧) «عظيم» مكررة في (ك) و(ل) و(ط) فقط. والأثر أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٧٨).

(٨) في (ق) و(ض) و(د): «وروى ابن المبارك عن فضالة». وهو خطأ.

(٩) المثبت من (ض) و(د)، وتصحفت في سائر النسخ إلى «عقاب»!، وفي (س): «عقاب عليه».

(١٠) في (ق) و(ض) و(د) و(س): «أنزل».

(١١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(١٢) في (ل) و(ط) و(س): «بينها».

والجاهلِ، فاصبِروا عليها، فإنَّ أهلَ السُّنَّةِ كانوا أقلَّ النَّاسِ، الذين لم يأخذُوا مع[١] أهلِ الإترافِ إترافَهُم، ولا مع أهلِ البِدَعِ أهواءهُم، وصبَروا على سُنَّتِهم حتى أَتَوا ربَّهم، فكذلك إن شاءَ اللهُ فكونوا[٢].

ثمَّ قالَ: واللهِ إنَّ رجلاً أدرك هذه المنكراتِ[٣]، يقولُ هذا: هلمَّ إليَّ، ويقولُ هذا: هلمَّ إليَّ، فيقولُ: لا أريدُ.

سنَّةُ محمَّدٍ ﷺ[٤] يطلبُها ويَسألُ عنها، إن هذا ليَعْرِضُ[٥] له أجرٌ عظيمٌ، فكذاكم[٦] فكونوا إن شاءَ اللهُ[٧].

ومِن هذا المعنى ما روى أبو نُعَيمٍ وغيرُه، عن كُمَيْلِ بن زيادٍ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه قالَ[٨]: النَّاسُ ثلاثةٌ؛ فعالمٌ[٩] ربَّاني، ومُتعلِّمٌ على سبيلِ نجاةٍ، وهمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ يميلونَ مع كل ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ.

---

(١) في (ج) و(س): «من».

(٢) في حاشية (س): «تعريف أهل السنة، واستخراجهم من الفرق المنحرفة ذكره ابن المبارك [كذا] عن الحسن».

والأثر: أخرجه الدارمي (٢٢٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٤٣).

(٣) في (ك) و(م): «النُكُرات» والضبط من (ك).

(٤) المثبت من (ك) و(م) و(ل) وفي النسخ المتأخرة: «لا أريد إلا سنةَ محمد ﷺ».

(٥) في (ط) و(س): «ليعوض»، وفي (ك): «لِبعَرضِ أجر عظيم».

(٦) في (ط) و(ق): «فكذلك».

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٨) في (د) وحدها زيادة: «أخذ بيدي، فأخرجني ناحية الجبانة، فلما أصحر جعل يتنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول:...».

(٩) في (م) و(ق) و(ض) و(د): «عالم».

ثمَّ ذكرَ كلاماً في فضلِ العلمِ إلى أن قال: آه، إن هاهنا[١] ـ وأشارَ إلى صدرِه ـ عِلْماً لو أصبتُ[٢] له حملةً! بل أصبتُه[٣] لَقِنًا[٤] غيرَ مأمونٍ عليه، يَستعمِلُ آلةَ الدِّينِ للدُّنيا، يَستظهِرُ بحُجَجِ اللهِ على كتابِه، وبنِعَمِه[٥] على عبادِه.

أو منقاداً لأهلِ الحقِّ لا بصيرةَ له في إحيائه، ينقدِحُ الشكُّ في قلبِه بأوَّلِ عارضٍ مِن شُبهَةٍ لا ذا ولا ذا.

أو منهومٌ باللذَّاتِ سَلِسُ القيادِ[٦] للشَّهَواتِ.

أو مُغرًى بجمعِ الأموالِ[٧] والادِّخارِ، وليسا[٨] مِن دُعاةِ الدِّينِ، أقربُ شَبهاً بهم الأنعامُ[٩] السَّارحةُ.

كذلك يموتُ العلمُ بموتِ حامليه، اللهمَّ بلى، لن[١٠] تَخْلُوَ الأرضُ من[١١] قائمٍ للهِ بحججِه[١٢] لكيلا تبطُلَ حُجَجُ اللهِ وبيِّناتُه، أولئك هم الأقلُّونَ عدداً، الأعظمونَ

---

(١) في (ك): «هاه».

(٢) في (م) و(ق): «وجدت».

(٣) في (م) و(ل) و(س) و(ط): «أصيبه».

(٤) تصحف في بعض النسخ إلى «لفتى». واللَّقِن: الفاهم.

(٥) المثبت من (ل) و(ط) موافقاً «للحلية» وفي سائر النسخ: «بنعمته».

(٦) في (ق) و(ط) و(ج): (مهموم» وفي (ق): «الانقياد».

(٧) في (ل) و(ج) و(ض) و(د): «المال». وفي (ك): «بجميع الأموال».

(٨) في (د) و(س): «وليسو» وفي (س): «من رعاة».

(٩) في (ق): «الأغنام» تصحيف.

(١٠) في (ق): «اللهم لا».

(١١) في (ج): «عن».

(١٢) المثبت من (ك) و(م) و(ق)، وفي سائر النسخ: «بحجة».

عندَ اللهِ قدراً، بهم يَدفَعُ اللهُ عن حُجَجِه حتَّى يؤدُّوها إلى نُظرائِهم، ويَزرعوها في قلوبِ أشباهِهم، هجمَ بهم العِلمُ على حقيقةِ الأمرِ فاستَلانوا ما استَوْعَر منه المترفونَ، وأَنِسُوا بما استوحشَ منه الجاهلونَ، صَحِبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلَّقةٌ بالمنظرِ الأعلى، أولئك خُلفاءُ اللهِ في بلادِه، ودُعاتُه إلى[1] دينِه، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتِهم[2].

فقسمَ أميرُ المؤمنينَ رضي الله عنه حملةَ العلمِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ[3]:

قسمٌ هم[4] أهلُ الشُّبُهاتِ، وهُم مَن لا بصيرةَ له مِن حملةِ العلمِ، بل يَنقدِحُ الشَّكُّ في قلبِه بأوَّلِ عارضٍ مِن شبهةٍ فتأخذُه الشُّبهةُ[5] فيقعُ في الحيرةِ والشُّكوكِ، ويخرجُ من ذلك إلى البِدَعِ والضَّلالاتِ.

وقسمٌ هم أهل الشَّهَواتِ، وجعلهم نوعينِ:

أحدُهما: مَن يطلبُ الدُّنيا بنفسِ العلمِ، فيجعَلُ العلمَ آلةً لكسبِ الدُّنيا.

والثَّاني: مَن يطلبُ الدُّنيا بغيرِ العلمِ[6]، وهذا النَّوعُ ضربانِ:

أحدُهما: مَن همُّه مِن الدُّنيا لذَّاتُها وشَهواتُها فهو مَنهومٌ بذلك سريعُ الانقيادِ له.

والثَّاني: مَن همُّه جمعُ الدُّنيا واكتنازُها وادِّخارُها[7].

---

(١) في (ق): «في».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٨).

(٣) في حاشية (ج): «تفسير كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه» وفي حاشية (س): «فائدة».

(٤) في (ق): «فسماهم» تصحيف.

(٥) في (ك): «الشبه».

(٦) في (ق) و(ض) و(د): «علم».

(٧) في (ل): «وإذخارها».

وكلُّ هؤلاء ليسوا مِن دُعاةِ الدِّينِ، وإنَّما هم كالأنعامِ، ولهذا شبَّه اللهُ تعالى مَن حُمِّلَ التَّوراةَ ثمَّ لم يَحمِلْها بالحمارِ الذي يحمِلُ أسفاراً[1]، وشبَّه عالمَ السُّوءِ الذي انسلخَ مِن آياتِ اللهِ وأخلدَ إلى الأرضِ واتَّبعَ هواه بالكلبِ[2]، والكلبُ والحمارُ أخسُّ مِن الأنعامِ وأضلُّ سبيلاً[3].

والقسمُ الثَّالثُ مِن حَملةِ العلمِ: هم أهلهُ وحَملَتُه ورُعاتُه والقائمونَ بحُجَجِ اللهِ وبيِّناتِه، وذكرَ أنَّهم الأقَلُّونَ عَدداً الأعظمونَ عندَ اللهِ قدراً إشارةً إلى قلَّةِ هذا القسمِ وعِزَّتِه في حملةِ العلمِ وغَرابَتِه بينَهم.

وقد قسَّمَ الحسنُ البصريُّ رحمه الله حملةَ القرآنِ إلى قريبٍ مِن هذا التَّقسيمِ الذي قسَّمَه عليٌّ رضي الله عنه لحملةِ العلمِ، قال الحسنُ: قُرَّاءُ القرآنِ ثلاثةُ أصنافٍ:

صِنفٌ اتَّخذوهُ بضاعةً يأكلونَ[4] به.

وصِنفٌ أقاموا حروفَه وضيَّعوا حُدودَه واستَطالوا به على أهلِ بلادِهم واستدَرُّوا[5].....

---

(١) قال جل جلاله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٥].

(٢) قال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

(٣) في حاشية (ض): «بلغ».

(٤) في (م) و(ج) و(ض) و(د): «يتأكلون»، وفي (س): «صناعة يأكلون به».

(٥) تحرفت في (م) و(ج) و(ض) و(د) إلى: «واستدنوا» وفي (س): «وسدنوا». ومعنى «استدروا به الولاة»: طلبوا به دَرَّهم وعطاياهم.

به الوُلاةَ[١]، كَثُرَ[٢] هذا الضَّربُ مِن حَملةِ القرآنِ لا كثَّرَهم اللهُ. وصِنفٌ[٣] عمَدُوا إلى دواءِ القرآنِ فوضعوهُ على داءِ قُلوبِهم وَكَدُوا به[٤] في محاريبِهم وحَنُّوا بـهِ[٥] فـي برانسِهم واستشعَرُوا الخـوفَ وارتَدَوا الحزنَ، فأولئك الذين يَسقي اللهُ بهم الغيثَ ويَنصرُ بهم على الأعداءِ، واللهِ[٦] لَهؤلاءِ الضَّربُ في[٧] حملةِ القُرآنِ أعزُّ مِن الكبريتِ الأحمرِ[٨].

فأخبرَ أنَّ هذا القسمَ وهم الذين قرؤوا القرآنَ للهِ وجعَلوه[٩] دواءً لقلوبِهم فأثمر لهم[١٠] الخوفَ والحزنَ أعزُّ مِن الكبريتِ الأحمرِ بين قُرَّاءِ القُرآنِ.

ووصفَ أميرُ المؤمنينَ رضيَ الله عنه هذا القسمَ مِن حَملةِ العِلمِ بصفاتٍ:

منها أنَّه هجمَ بهم العلمُ على حقيقةِ الأمرِ، ومعنى ذلك أنَّ العلمَ دلَّهُم على

---

(١) في (ق) و(ض) و(د): «الولاية».

(٢) في (ط): «كثيراً»، وفي (ض): «وقد كثر»، وفي (س): «كثرة».

(٣) في (م) و(ل) و(ق) و(ض) و(د): «وضرب».

(٤) المثبت من (ك)، وهو الموافق لما في «فضائل القرآن»: «فوكدوا» في (ض) و(د): «فذكروا» وهو كذلك في بعض المصادر، وتصحفت في سائر النسخ: «فركدوا به». «وكدوا» أقاموا.

(٥) «وحنوا» في جميع النسخ، وكذلك هو في مطبوعات بعض المصادر. لكن أخرجه ابن خالويه في «إعراب القراءات السبع وعللها» (١/ ٦٤) ثم قال: «سمعت أبا عمر يقول: خنّوا: بكوا حتى سمع خنينهم. قال ثعلب: فالخنين صوت البكاء من الأنف، ويقال: الأنفُ المَخَنَّةُ».

(٦) كرر «والله» في (ق) و(ض) و(د).

(٧) في (ج): «من».

(٨) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٢٧)، وابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣٨١).

(٩) في (ق): «وهم قراء القرآن الذين جعلوه».

(١٠) المثبت من (ك)، وفي (ج): «فأنزلهم»، وفي سائر النسخ: «فأثر لهم».

المقصودِ الأعظمِ منه، وهو معرفةُ اللهِ عز وجل، فخافوه وأحبُّوهُ حتى سَهُلَ بذلك عليهم كلُّ ما تعسَّرَ على غيرِهم ممَّن لم يَصِل إلى ما وصَلُوا إليه ممَّنْ وقفَ مع الدُّنيا وزينتها[1] وزهرتِها واغترَّ بها ولم يُباشِر قلبَه معرفةُ اللهِ وعظمتُه وإجلالُه، ولذلك قال: (فاستَلانُوا[2] ما استَوْعرَ منه المترفونَ)؛ فإنَّ المُترفَ الواقفَ مع شهواتِ الدُّنيا ولذَّاتِها يَصعبُ عليه تركُ لذَّاتِها وشهواتِها؛ لأنَّه[3] لا عِوَضَ عنده مِن لذَّاتِ الدُّنيا إذا تركَها فهو لا يصبِرُ على تركِها[4]، وهؤلاء في قلوبِهم العِوَضُ الأكبرُ بما وصلوا إليه مِن لذَّةِ معرفةِ اللهِ ومحبَّتِه وإجلالِه كما كان الحسنُ يقولُ: «إنَّ أحبَّاءَ اللهِ هم الذين وَرِثوا طيبَ الحياةِ وذاقوا نعيمَها بما وصلوا إليه مِن مُناجاةِ حبيبِهم وبما وَجدوا مِن لذَّةِ حُبِّه في قلوبِهم»[5]، في كلامٍ يطولُ ذِكرُه هاهنا في هذا المعنى.

وإنَّما أَنِسَ هؤلاء بما استوحشَ منه الجاهلونَ؛ لأنَّ الجاهلينَ باللهِ يَسْتوحشونَ مِن تركِ الدُّنيا وشَهواتِها لأنَّهم لا يعرفونَ سِواها فهيَ أُنسُهم، وهؤلاء يَستوحشونَ مِن ذلك ويستأنِسونَ باللهِ وبذكرِه ومعرفتِه ومحبَّتِه وتلاوةِ كتابِه، والجاهلونَ باللهِ يَستوحشونَ مِن ذلك ولا يَجِدونَ الأُنسَ به.

ومِن صفاتِهم التي وصفَهُم بها أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنه أنَّهم صَحِبوا الدُّنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلَّقةٌ بالمَنظرِ الأعلى، وهذا إشارةٌ إلى أنَّهُم لم يتَّخِذوا الدُّنيا وَطناً ولا رَضُوا بها إقامةً وسكناً[6]، وإنَّما اتَّخذوها ممرًّا ولم يجعَلُوها مُستقرًّا،

---

(١) سقطت اللفظة من (ك)، وفي (ل) وغيرها: «وقف على الدنيا وزهرتها».

(٢) في (ك) و(ط) و(ج) و(د) و(س): «استلانوا».

(٣) «لأنه»: زيادة من (ك) و(م) و(ق) و(ض) و(د). وفي (ل): «إذ». ولا شيء في (ط) و(ج) و(س).

(٤) في (ك): «عن تركها».

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٧)، وعزاه المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» إلى ابن أبي الدنيا.

(٦) في (ق): «ولا سكناً».

وجميعُ الكتبِ والرُّسُلِ أوصَتْ بهذا، وقد أخبرَ اللهُ تعالى في كتابِه عَن مؤمنِ آلِ فرعونَ أنَّه قال لقومِه في جُملةِ وعظِه لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] الآيةَ.

وقال النبيُّ ﷺ لابنِ عمرَ رضي الله عنهما: «كُن في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»[(١)(٢)].

وفي روايةٍ: «وعُدَّ نفسكَ مِن أهلِ القُبور»[(٣)].

ومِن وَصايا المسيحِ المرويَّةِ عنه عليه السَّلام أنَّه قالَ لأصحابِه: اعبُروها ولا تَعْمُروها[(٤)].

وعنه عليه السَّلام أنَّه قال: مَن ذا الذي يبني على موجِ البحرِ داراً؟ تلك الدُّنيا فلا تتَّخِذوها قراراً[(٥)].

فالمؤمنُ في الدُّنيا كالغريبِ المجتازِ ببلدَةٍ غيرَ مُستوطِنٍ فيها، فهو يشتاقُ

---

(١) زاد في حاشية (م) وفي (ق) و(ض) و(د): «فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل»: وهذا إدراج في الحديث وليس منه، وهذه الجملة أوردها السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٩٠)، وقال «هو عند أبي نعيم من جهة عمر بن عبد العزيز». وهي في «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٣٦٣)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢٦٣) و«قصر الأمل» (٢٢٦) و«ذم الدنيا» (٢١٣)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٩٤) من مكاتبة بين الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٣) أخرجها الترمذي (٢٣٣٣).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٥) مما ذكره وهيب المكي.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٨١) مما ذكره إبراهيم، وفي (٣٢٥) مما ذكره مكحول، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٤٧) مما ذكره سعيد بن عبد العزيز.

إلـى بلـدِه، وهمُّـه الرُّجـوعُ إليـه والتَّـزوُّدُ بمـا يوصلُـه فـي طريقِـه إلـى وطنِـه، ولا ينافـسُ أهـلَ ذلـك البلدِ المسـتوطنين فيه فـي عِزِّهِم ولا يجـزَعُ ممَّا أصابَـه عندَهم مِـن الذُّلِّ.

قال فُضَيْلُ بنُ عياضٍ: المؤمنُ في الدُّنيا مهمومٌ حزينٌ، همُّه مَرَمَّةُ جهازِه[1].

وقال الحسنُ: المؤمِنُ في الدُّنيا كالغريبِ لا يجزَعُ مِن ذلِّها ولا يُنافسُ في عِزِّها، له شأنٌ وللنَّاسِ شأنٌ[2].

وفي الحقيقةِ فالمؤمنُ في الدُّنيا غريبٌ لأنَّ أباه إنَّما[3] كان في دارِ البقاءِ ثمَّ أُخرِجَ منها، فهَمُّه الرُّجوعُ إلى مَسكَنِه الأوَّلِ فهو أبداً يحنُّ إلى وطنِه الذي أخرجَ منه كمَا يقالُ: حبُّ الوطنِ من الإيمانِ[4].

وكما قيلَ:

كـم منـزلٍ فـي الأرض يألفُـه الفتى ... وَحنيـنُـه أبـداً لأوَّلِ مَـنزِل[5]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٣٥٨).

(٣) في (ق): «لما».

(٤) هذا ليس بحديث، ولا أصل له في كتب الحديث المسندة ولم يقف عليه فيها كبار الحفاظ.

وفي حاشية (س): فائدة: ولبعضهم في هذا المعنى:

إن لله عبـاداً فطنـا ... طلقـوا الدنيـا وخافـوا الفتنـا

نظـروا إليهـا فلمـا علمـوا ... أنهـا ليسـت لحـي وطنـا

جعلوهـا لجـة واتخـذوا ... صالـح الأعمـال فيهـا سـفنا

(٥) البيت لأبي تمام الطائي. وجاء في نسخنا جميعاً: «وكم...»، وفي (م) و(ل) و(ط) و(ج) و(س): «منزل للمرء يألفه». انظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٤٠).

ولبعضِ شُيوخِنا في هذا المعنى[١]:

فحيَّ على جناتِ عدنٍ فإنَّها ... مَنازِلُك الأولى وفيها المُخيَّمُ
ولكنَّنا سَبيُ العَدوِّ فهَلْ ترى ... نعودُ إلى أوطانِنا ونُسَلِّمُ
وقد زعمُوا أنَّ الغريبَ إذا نأى ... وشطَّتْ به أوطانُه فهو مُغرَمُ
وأيُّ اغترابٍ فوقَ غُربَتِنا التي ... لها أضحَتِ الأعداءُ فينا تَحكَّمُ[٢]

والمؤمنونَ في هذا أقسامٌ، مِنهم مَن قلبُه مُعلَّقٌ بالجنَّةِ، ومِنهم مَن قلبُه مُعلَّقٌ عند خالقِه وهم العارفونَ.

ولعلَّ أميرَ المؤمنينَ رضي الله عنه إنَّما أشارَ إلى هذا القسمِ، فالعارفونَ أبدانُهم في الدُّنيا وقلوبُهم عند المولى.

وفي مراسيلِ الحسنِ، عن النبيِّ ﷺ يروي ذلك[٣] عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال: «علامةُ الطُّهرِ أن يكونَ قلبُ العبدِ[٤] عندي مُعلَّقاً، فإذا كان كذلك لم يَنسَني على حالٍ، وإذا كان كذلك مَننتُ عليه بالاشتغالِ بي كي لا يَنساني، فإذا نَسِيَني[٥] حرَّكتُ

---

(١) في (ق) زيادة ليست من الأصل «هو شيخ الإسلام أبو عبد الله بن قيم الجوزية»: وفي حاشية (ل) «وهو ابن القيم». وفي (د): «قوله ولبعض شيوخنا: هو الإمام المحقق، العلامة المدقق شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن القيم رحمه الله من قصيدة طويلة غراء جميلة جداً اهـ. الأبيات».

(٢) ذكرها ابن القيم رحمه الله في عدد من كتبه، كـ«طريق الهجرتين» و«مدارج السالكين» و«إغاثة اللهفان» و«مفتاح دار السعادة» و«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» في أوله.
وذكر القصيدةَ بتمامها المصنفُ رحمه الله في ترجمة شيخه ابن القيم من ذيله على «طبقات الحنابلة» مما قرئ عليه وهو يسمع.

(٣) في (ق): «يرويه».

(٤) في حاشية (س): «ن: المؤمن».

(٥) في (ق) و(ض) و(د): «لم ينسني» وهو خطأ.

قلبَه، فإن[١] تكلَّمَ تكلَّمَ لي، وإن[٢] سكتَ سكتَ لي[٣]، فذلك الذي تأتيه المعونةُ مِن عندي»[٤].

وأهلُ هذا الشَّأنِ هم غرباءُ الغُرباءِ، وغُربَتُهم أعزُّ الغُربةِ؛ فإنَّ الغُربةَ عند أهلِ الطَّريقةِ غُربتانِ: ظاهرةٌ وباطنةٌ.

فالظَّاهرةُ: غربةُ أهلِ الصَّلاحِ بين الفُسَّاقِ، وغربةُ الصَّادقينَ بين أهلِ الرِّياءِ والنِّفاقِ، وغربةُ العُلماء بين أهلِ الجهلِ وسوءِ الأخلاقِ، وغربةُ علماءِ الآخرة بين علماءِ الدُّنيا الذين سُلِبُوا الخشيةَ والإشفاقَ، وغربةُ الزَّاهدينَ بين الرَّاغبينَ في كلِّ ما[٥] ينفَدُ وليسَ هو بباقٍ.

وأمَّا الغربةُ الباطنةُ؛ فغربةُ الهِمَّةِ، وهي غربةُ العارفِ[٦] بين الخَلْقِ كلِّهم حتى العُلَماءِ والعُبَّادِ والزُّهَّادِ، فإنَّ أولئك واقفونَ مع عِلمِهم وعبادتهم[٧] وزُهدِهم، وهؤلاء واقفون مَع معبودِهم لا يعرجونَ بقُلوبهم عنه.

كان[٨] أبو سُليمان الدَّارانيُّ[٩] .....

---

(١) في (ق): «فإذا».

(٢) في (ل) و(ج) و(ض) و(د): «بي»، وفي (ق): «بي وإذا».

(٣) في (ج) و(ق): «بي».

(٤) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٣٧).

(٥) في (م) وفي حاشية (ج) وفي (ق) و(ض) و(د): «فيما».

(٦) في (ج) و(ق) و(س): «العارفين».

(٧) في (ك) و(ج) و(س): «عباداتهم».

(٨) في (ق): «فكان». وفي (ض) و(د): «وكان».

(٩) «الداراني» سقطت من (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س).

يقولُ في وَصفِهم[١]: هِمَّتُهم غيرُ همَّةِ النَّاسِ، وإرادَتُهم مِن الآخرةِ غيرُ إرادةِ النَّاسِ، ودعاؤُهم غيرُ دُعاءِ النَّاسِ منه[٢].

وسُئِلَ عَن أفضلِ الأعمالِ[٣] فبكى، وقال: أن يطَّلِعَ على قلبِكَ فلا يَرى تريد مِن الدُّنيا والآخرةِ غيرَه[٤].

قال[٥] يحيى بنُ معاذٍ: الزَّاهدُ غريبُ الدُّنيا، والعارفُ غريبُ الآخرةِ[٦].

يشيرُ إلى أنَّ الزَّاهدَ غريبٌ بين أهلِ الدُّنيا، والعارفَ غريبٌ بين أهلِ الآخرةِ، لا يعرفُه العُبَّادُ ولا الزُّهَّادُ، وإنَّما يعرِفُه مَن هو مثلُه وهِمَّتُه كهِمَّتِه، وربما اجتمعَتْ للعارفِ هذه الغُرباتُ كلُّها أو كثيرٌ منها أو بعضُها، فلا تَسأل عن غُربتِه حينئذٍ؛ فالعابدونَ ظاهرونَ لأهلِ الدُّنيا والآخرةِ، والعارفونَ مَستورون عَن أهلِ الدُّنيا والآخرةِ.

قال يحيى بنُ معاذٍ: العابدُ مَشهورٌ والعارفُ مَستورٌ[٧].

وربَّما خفيَ حالُ العارفِ على نفسِه لخفاءِ حالته[٨] وإساءتِه الظنَّ بنفسِه.

---

(١) في (ق): «صفتهم و».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٦) دون ذكر الإرادة.

(٣) في (س): «وسئل أبو سليمان الداراني عن أفضل الإيمان»!!

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٦). وفي (س): «أن تريد». وزيدت (أن) أيضاً في حاشية (ل).

(٥) في (ك) و(ق) و(د): «وقال».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٦٠) بلفظ: «الزاهدون...»، ورواه القشيري في «الرسالة» (١/ ٢٤١) من كلام النصرأباذي.

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. ولعله تلخيص لكلام له نقله أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٥٩).

(٨) في (ط) و(ج) و(س): «حاله».

قال إبراهيمُ بن أدهمَ: ما أُرى هذا الأمرَ إلَّا في رجلٍ لا يعرفُ ذاك[١] من نفسِه ولا يعرِفُه النَّاسُ منه[٢].

وفي حديثِ سعدٍ، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ العبدَ الخفيَّ التقيَّ»[٣].

وفي حديثِ معاذٍ، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يحبُّ مِن عبادِه الأخفياءَ الأتقياءَ الذين إذا حَضَروا لم يُعرَفوا، وإن غابوا لم يُفْتَقَدُوا[٤] أولئك أئمَّةُ الهدى ومَصابيحُ العلمِ»[٥].

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: طوبى لكلِّ عبدٍ نُومةٍ عرفَ النَّاسَ ولم يعرفه الناس[٦] وعرفَه اللهُ منه برضوانٍ، أولئك مَصابيحُ الهدى تُجلَى عنهم كلُّ فتنةٍ مظلمةٍ[٧].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: كونوا جُدُدَ القُلوبِ خُلْقَانَ الثِّيابِ مصابيحَ الظَّلامِ، تَخْفَوْنَ على أهلِ الأرضِ وتُعرفونَ في أهلِ السَّماءِ[٨].

---

(١) في (ج) و(ق) و(ض) و(د) و(س): «ذلك».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٦). «منه» من (ك)، وسقطت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٥)، ولفظه: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي». والمراد بالغنى: غنى النفس.

(٤) المثبت من (ك) موافق لمصادر التخريج، وفي سائر النسخ: «لم يفقدوا». وفي (م): «وإذا غابوا».

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٣/ ٢٧٠) وغيرهما. بنحو هذا اللفظ.

(٦) في (ل): «يعرفوه الناس»، وفي (ج): «ولم يعرفه أحد».

(٧) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٧)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٢٣). قال البيهقي: نُوَمَة: «يعني الخامل الذكر الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر ولا أهله». والضبط في (م): «وعَرَّفه».

(٨) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (٥٤)، والدارمي (٢٦٢) وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٤)، وفي «العزلة والانفراد» (٧٩) (١٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٠٠).

فهؤلاء هم أخصُّ أهل الغربةِ، وهم «الفرَّارونَ بدينِهم مِن الفِتَنِ»، وهم «النُّزَّاعُ مِن القبائلِ» «الذين يُحشرونَ مع عيسى ابن مريمَ عليه السَّلام»، وهم «بين أهلِ الآخرةِ أعزُّ مِن الكبريتِ الأحمرِ»، فكيفَ يكونُ حالهم بينَ أهلِ الدُّنيا وتخفى أحوالُهم[1] غالباً على الفريقينِ، كما قال القائلُ[2]:

تَواريتُ مِن[3] دَهري بظِلِّ جَناحِه ... فعيني تَرى دهري وليسَ يَراني
فلو تُسْألُ الأيامُ ما اسميَ ما دَرَت ... وأينَ مَكاني ما عرفْنَ مَكاني[4]

ومَن ظهرَ مِنهم للنَّاسِ فهو بينَهُم ببدنِه وقلبُه مُعلَّقٌ بالمنظرِ الأعلى[5] كما قالَ أميرُ المؤمنينَ رضي الله عنه في وصفِهم، وكما قيلَ:

جِسْمي معي غيرَ أنَّ الرُّوحَ عِندَكُم ... فالجِسمُ في غُربةٍ والرُّوحُ في وَطَنِ[6]

وكانت رابعةُ رحمها اللهُ تُنشِدُ في هذا المعنى، وتقولُ[7]:

ولقد جَعلتُكَ في الفُؤادِ مُحدِّثي ... وأبحْتُ جِسمي مَن أرادَ جُلوسي
فالجِسمُ مِنِّي للجَليسِ مُؤانِسٌ ... وحبيبُ قلبي في الفُؤادِ أَنيسي[8]

---

(١) في (ق): «حالهم».

(٢) في (ق): «الشاعر».

(٣) في (ج) و(س): «عن».

(٤) في (س): «عن اسمي». والبيتان لأبي النواس. ذكره المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافي» (ص: ٢٣٤).

(٥) في (ك): «بالملأ الأعلى».

(٦) ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٤٣٨) لأبي عمارة المكي محمد بن أحمد بن أبي مرة، الملقب بشمروخ. ويذكر لغيره أيضاً.

(٧) «وتقول»: من (ق) و(د).

(٨) ذكره عن رابعة العدوية: ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣)، وعن رابعة الشامية: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١١٨).

وأكثرُهم لا يقوى على مخالطةِ الخلقِ فهو يفِرُّ[١] إلى الخلوةِ بحبيبِه[٢]، ولهذا كان أكثرُهم يُطيلُ الوحدةَ.

قيل[٣] لبعضِهم: ألا تستوحِشُ؟ قال: كيفَ أستوحِشُ وهو يقولُ: أنا جليسُ مَن ذكرَني[٤].

وقال آخرُ: وهل يستوحِشُ مع اللهِ أحَدٌ[٥]؟.

وعن بعضِهم: مَن استوحشَ مِن وحدَتِه فذاك لِقِلَّةِ أُنسِه بربِّه[٦].

كان[٧] يحيى بن مُعاذٍ كثيرَ العُزلةِ والانفرادِ، فعاتبَهُ أخوه فقالَ له: إن كنتَ مِن النَّاسِ فلا بُدَّ لك مِن النَّاسِ، فقال يحيى: إن كنتَ مِن النَّاسِ فلا بُدَّ لك مِن اللهِ[٨].

وقيلَ له: إذا هجرتَ الخلقَ مَع من تعيشُ؟ قال: مَع مَن هجرتُهم له[٩].

وأنشدَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ في هذا المعنى:

---

(١) في (ط): «يهرب».

(٢) في (ق) وحدها: «يستأنس بحبيبه».

(٣) في (ق) و(ض) و(د): «وقيل».

(٤) قاله عبيد الله بن محمد الكرماني فأجابه محمد بن النضر الحارثي، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦٩٧).

(٥) أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٢)، والخطابي في «العزلة» (ص: ١٦).

(٦) قالت ذلك عائشة بنت أبي عثمان سعيد الحيري. ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» (ص: ٤١٠).

(٧) في (ق) و(ض) و(د): «وقيل».

(٨) أخرجه ابن البنا في «الرسالة المُغْنية في السكوت ولزوم البيوت» (٣١).

(٩) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣١٠).

هَجـرتُ الخلـقَ طُـرًّا فـي هَواكا[١] وأيـتَـمْـتُ الـعِـيـالَ لكـي أراكا
فلـو قطَّعْتَنـي فـي الحُـبِّ إِرْبـاً لَمَـا حـنَّ الفـؤادُ إلـى سِـواكا[٢]

وعوتـبَ غـزوانُ علـى خلوتِه فقـال: إنِّي أصبـتُ[٣] راحةَ قلبي في مُجالسـةِ مَن لديه حاجَتي[٤].

ولغُربتِهـم مِـن[٥] النَّـاسِ ربَّمـا نُسِـبَ بعضُهـم إلـى الجنـونِ لِبُعـد حالِـه مِـن أحـوالِ النَّـاسِ، كمـا كان أُوَيـسٌ يقـالُ ذلـك عنـه[٦].

وكان أبو مُسلمٍ الخَوْلانيُّ كثيرَ اللهجِ بالذِّكرِ لا يفتر لسانه منه[٧]، فقالَ رجلٌ لجلسائِه: أمجنونٌ صاحبُكُم؟ قال أبو مسلمٍ: لا يا ابن أخي[٨]، ولكن هذا دواءُ الجنونِ[٩].

وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «اذكُروا اللهَ حتَّى يقولوا: مجنونٌ»[١٠].

---

(١) في (ل) و(ج) و(س): «رضاكا».

(٢) أخرجه في سياق قصة: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦).

(٣) في (ج): «وجدت».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧٨). وهو غزوان الرقاشي.

(٥) في (ك): «بين».

(٦) أويس القرني رضي الله عنه. انظر من ذلك: «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا (٥٠)، و«التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (٣/ ٢١٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩/ ٤٣٤).

(٧) في (ط) و(س): «بالذكر بلسانه».

(٨) في (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س): «لا يا أخي».

(٩) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٨).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (١١٦٧٤) (١١٦٥٣) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، ولفظه: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»، ولم أجد اللفظ الذي أورده المصنف مسنداً إلا فيما ذكر من بعض الرؤى! فعلى تسليم قبول الحديث ـ وفيه كلام ـ يكون معناه: الكثرة لا الهيئة، فلا يجوز الاحتجاج به على الرقص!

وقال الحسنُ في وَصْفِهم[١]: إذا نظرَ إليهم الجاهلُ[٢] حَسِبَهم مَرْضى وما بالقومِ[٣] مَرضٌ، ويقولُ: قد خولِطُوا[٤]، وقد خالطَ القومَ أمرٌ عظيمٌ[٥].

هيهاتَ واللهِ، مشغولونَ عن دُنياكُم.

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

وحُرْمةِ الوُدِّ ما لي عنكُمُ عِوَضٌ ... وليسَ لي في سِواكُم سادَتِي غرَضُ
وقد شَرطتُ على قومٍ صَحِبتهمُ ... بأنَّ قلبي لكُمْ مِن دونِهم فرَضُوا[٦]
ومِن حديثي بكُم قالوا: بهِ مَرَضٌ ... فقلتُ: لا زالَ عني ذلك المرضُ[٧]

وفي الحديثِ، أنَّ النبيَّ ﷺ أوصى رجلاً فقال: «استَحْيِ مِن اللهِ كما تستحي مِن رَجُلينِ مِن صالحي عَشيرتِك لا يُفارقانِك»[٨].

---

(١) في (ك) و(ل) و(س): «صفتهم».

(٢) هنا انتهت النسخة (ل).

(٣) في (ط): «بهم».

(٤) في (ق) و(ض) و(د): «خالطوا».

(٥) أصل الكلام مما ذكره وهب بن منبه بحضرة ابن عباس رضي الله عنهما من كلام فتى لأيوب عليه السلام. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٩٥ ـ ١٤٩٦). وكلام الحسن عند ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٩١)، و«الأولياء» (٩٣).

(٦) هذا البيت من (م) و(ق) وسقط من سائر النسخ.

(٧) ذكر البيتين الأول والثالث: ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٥٥)، ولعله مما نقله من ابن عقيل في كتابه «السر المصون». انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٢٢٢). والأبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الشافعي الواسطي، المتوفى ٤٩٨ رحمه الله.
ذكرها له العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (شعراء العراق ١/ ١٢٠).

(٨) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة جعفر بن الزبير (٢/ ٣٦٥)، وأشار البيهقي في «الشعب» (٧٣٤٣) إلى ضعفه. وفي (ك) و(ق): «استحيي» «تستحيي»، وفي (ط) و(ج): «صالح».

وفي حديثٍ آخرَ عنه ﷺ قال: «أفضَلُ الإيمانِ[١] أن تعلمَ أنَّ اللهَ معكَ حيثُ ما[٢] كنتَ»[٣].

وفي حديثٍ آخرَ، أنَّه سئلَ ﷺ: ما تزكيةُ المرءِ نفسَه؟ قال: «أن يعلمَ أنَّ اللهَ معه حيثُ كان»[٤].

وفي حديثٍ آخرَ عنه ﷺ قال: «ثلاثةٌ في ظلِّ اللهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه» فذكرَ منهم: «رجلٌ حيث[٥] توجَّه علِمَ أنَّ اللهَ معه»[٦].

وثبتَ عنه ﷺ أنَّه سُئِلَ عن الإحسانِ فقالَ: «أن تعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكُن تراه فإنَّه يراك»[٧].

ولأبي عبادةَ البُحتريِّ في هذا المعنى أبياتٌ حسنَةٌ، ولكنَّه أساء بقولِها في مخلوقٍ، وقد أصلحتُ مِنها كلماتٍ[٨] حتى استقامَت على الطَّريقةِ[٩]:

---

(١) في (ق): «الأعمال».

(٢) سقطت (ما) من (ك) و(ط) و(ج) و(س).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) و«مسند الشاميين» (٥٣٥) (١٤١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) أخرجه من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه: البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٦) و«شعب الإيمان» (٣٠٢٦). وأصله في «سنن أبي داود» (١٥٧٧).

(٥) في (ق) و(ض) و(د): «رجلًا حيث»، وفي (ج): «أين»، وفي (س): «رجلًا أينما».

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٧) حديث مشهور، وهو أول حديث في صحيح مسلم. من حديث عمر رضي الله عنه.

(٨) في (ق) ونسخة في (ض) و(د): «أبيات».

(٩) زاد في (ق): «وهي» وفي (س): «وهي هذه».

كأنَّ رقيباً منك يرعى خَواطِري ... وآخرُ يرعى ناظرِي ولِساني
فما أبصرَتْ عيناي بعدكَ مَنظراً ... يسوءكَ إلَّا قلتُ: قد رَمَقاني
ولا بدرَتْ مِن فيَّ بَعدكَ لفظةٌ ... لغيرِك إلَّا قلتُ: قد سَمِعاني
ولا خطرَتْ مِن ذكرِ غيرِك خطرةٌ ... على القلبِ إلا عرَّجا بعناني
إذا ما تسلَّى القاعدونَ عَن الهوى ... بذكرِ فُلانٍ أو كلام[1] فُلانِ
وجدتُ الذي يسلى سِواي يشوقني[2] ... إلى قُربِكُم حتى أملَّ مَكاني
وإخوانِ صدقٍ قد سئمتُ[3] لقاءَهُم ... وغضضتُ طرفي عنهمُ ولسانِي
وما البغضُ أسلى عَنهم غيرَ أنَّني ... أراكَ على[4] كلِّ الجهاتِ تَراني[5].

انتهى ما ذكره الشيخ فسح الله في مدته من هذا الكلام، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. حسبنا الله ونعم الوكيل[6].

---

(١) في (ج) و(س): «بذكر».

(٢) في (ط) و(ج): «يسوقني».

(٣) في (د) وحدها: «يَسُرّ». وفي (س): «أخلاء صدق».

(٤) في (ق): «كما».

(٥) الأبيات للبحتري كما في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للتنوخي (٦/ ١٤٥).

(٦) في حاشية (ك): «بلغ مقابلة على أصل مقروء على المؤلف وعليه خطه رحم الله سلَفَه.

وفي آخر (م): آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته، الراجي رحمته: أحمد بن محمد بن خضر عفا الله عنه وعن والديه آمين.

=

=

وفي الحاشية: بلغ قراءة على شيخنا الوالد أسعدنا الله وإياه بمنه وكرمه سنة ١٢١٥.

في آخر (ط): «آخر الكتاب، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، أنهاه كتابة الفقير في باب مولاه الغفار: السيد محمد بن الشيخ محمد بن الحاج علي العطار، نهار الثلاثة بعد العصر يوم إحدى عشر مضين من شهر صفر المبارك سنة ١١٢٣ ثلاثة وعشرين ومئة وألف».

وفي آخر (ج): «قال في النسخة المنقولِ منها:

آخرُه والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِه وسلَّمَ كلَّما ذكرَه الذاكرونَ، وغفَلَ عن ذكرِهِ الغافلونَ، أفضلَ الصَّلواتِ عددَ المعلوماتِ، ورضيَ الله عن أصحابِ رسولِ اللهِ أجمعين.

الحمدُ للهِ، بلغ قراءةً ومقابلةً على الأصلِ بتاريخِ شهرِ رجبٍ سنةَ ١٢٤٤».

وفي آخر (ق): «وهذا آخر ما وجدنا من كلامه رحمه الله تعالى وعفى عنه والحمد لله وحده وكان الفراغ من نسخها على أصلها رابع عشر ذي القعدة أحد شهور سنة ١٢٨٦ هجرية بقلم الفقير إلى الله عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن حميد غفر الله ولوالديه ولمشايخه وإخوته والمسلمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وفي آخر (ض): «تمت ولله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، آمين، في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧.

بلغ مقابلة وتصحيحاً بحسب الطاقة والاجتهاد والحمد لله رب العالمين، ١٥ رمضان سنة ١٢٨٨».

وفي آخر (د): «تمت، ولله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، آمين.

وقد انتهت كتابتها بقلم الفقير، المتصف بالعجز والتقصير، الراجي رحمة ربه الغني عبد الله بن خلف ابن دحيان الحنبلي، لطف الله به، وغفر له ولوالديه، ولمشائخه وإخوانه، ولمن دعا له بالمغفرة، وجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من نسخها ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ألف وثلاث مئة وعشرين، من هجرة من له مزيد الشرف وكامل الوصف.

انتهت الرسالة المسماة «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» للإمام الجليل، والعالم العامل النبيل، شيخ الإسلام، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى.

=

= ويليها كتاب «بيان العلم وانقسامه إلى علم نافع وغير نافع» للشيخ الإمام والحبر البحر الهمام عبد الرحمن بن رجب المذكور، ضوعفت لنا وله الأجور، آمين.

فائدة: قال الشافعي رحمه الله: «من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام»، وكان بعضهم يقول: «من أعظم البلية تمشيخ الصحيفة» أي الذين يتعلمون من الصحيفة. اهـ آداب. [كذا: ولعلها الصحفية].

وقال الشيخ عبد القادر التغلبي رحمه الله تعالى لتلميذه الشيخ محمد السفاريني: «رح طالع كثيراً واقرأ قليلاً تكن عالماً جليلاً». وقال أيضاً في ذلك المجلس: «من قرأ في كل يوم مسألة صار عالماً في سنة، وقرأ في كل يوم مسألتين صار عالماً في سنتين» يشير إلى كثرة التكرار.

وفي آخر (س): «تم والحمد لله وحده، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم. بلغ».